



المجلد: 27 العدد: 5 (رت74) السنة: 1445هـ / 2023م

دورية دولية محكمة تصدر عن كلية أصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - الجزائر

مدبر المجلة: أ.د/ أحمد عبدلي رئيس التحرير: أ.د/ نور الدين سكال

### هيئة التحرير

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة
أ.د. نور الدين سكال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
أ.د. صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة - الجزائر
أ.د. موسى معيرش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة - الجزائر
أ.د. مختار نصيرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
أ.د. حاتم باي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
أ.د. بوبكر كافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
أ.د. عيسى بوعافية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
أ.د. بدر الدين زواقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 01
أ.د. عبد القادر بخوش	أستاذ التعليم العالي	جامعة قطر
د. محمد مراح	أستاذ التعليم العالي	جامعة قطر
أ.د. نصير بوعلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشارقة الإمارات العربية المتحدة
أ.د. صالح نعمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الملك خالد أبها المملكة العربية السعودية
د. يوسف أحمد	أستاذ مشارك	جامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان
د. محمد عبد العال	أستاذ متفرغ	كلية الآداب - جامعة المنوفية
د. الشريف حمدي	أستاذ مدرس	جامعة سوهاج مصر
أ.د. حميد قوفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قطر
د. صلاح بوشلاغم	أستاذ مساعد	جامعة السلطان قابوس
د. سمية المكي	أستاذ مشارك	جامعة قطر
د. ميسا الخواجا	أستاذ مشارك	جامعة الملك سعود الرياض
د. رحاب يوسف	أستاذ مساعد	جامعة بني سويف مصر
مليكة نايم	أستاذة علي	جامعة القاضي عياض المغرب

## الهيئة الاستشارية:

جامعة قسنطينة 03 الجزائر	أ.د. فضيل دليو
جامعة قطر	أ.د. عبد القادر بخوش
جامعة الشارق الإمارات العربية المتحدة	أ.د. عبد الرحمن عزي
الجزائر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أ.د. عمار طسطاس
جامعة سكيكدة الجزائر	أ.د. جمال بن زروق
دار الحديث الحسنية المغرب	أ.د. أحمد الخمليشي
الجزائر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أ.د. سلمان نصر
جامعة سطيف 02 الجزائر	د. عبد الرزاق بلعقروز
جامعة الجزائر 02 الجزائر	أ.د. عزيز سلامي
جامعة غرداية الجزائر	أ.د. مصطفى وينتن
جامعة أدرار الجزائر	أ.د. محمد خالد اسطنبولي
جامعة برج بوعريريج الجزائر	أ.د. عبد الرشيد زرواتي
جامعة الوادي الجزائر	أ.د. إبراهيم رحمان
جامعة فاس المغرب	أ.د. سعيد كفايتي
الجزائر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أ.د. حميد قوفي
جامعة باتنة الجزائر	أ.د. بدر الدين زواقة
جامعة قطر	أ.د. بدران بن لحسن
جامعة الشارق الإمارات العربية المتحدة	أ.د. نصير بوعلي

الرقم الدولي : ISSN 1112-4377 الايداع القانوني: 293/2001

في التصنيف "C"، وفق المرجع الوزاري رقم 586 المؤرخ في 21 جوان 2018م

الرابط <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/90> Asjp

## AL MIEYAR

Périodique académique internationale de la faculté des fondements de la religion , classe « C »

selon l'arrêté ministériel n °586 du 21 juin 2018

Asjp <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/90>

ISSN 1112-4377/293-2001

# الافتتاحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

بفضل الله تعالى ثم بفضل القائمين على شؤون مجلة المعيار من مدير المجلة ومحرريها وأمينها ومراجعها يصدر هذا العدد ( مجلد 27 عدد 5 ) وبالترتيب التسلسلي الرابع والسبعون (74) الذي نشرنا فيه سبعا وثمانين (87) مقالا. وقد مسّت المقالات التي نشرت في هذا العدد المجالات المختلفة التي اعتادت المعيار النشر فيها، دراسات قرآنية وحديثية، ودراسات في العقيدة ومقارنة الأديان، ودراسات في الدعوة والإعلام، ودراسات في الفلسفة والفكر، ودراسات في الشريعة والقانون، ودراسات في اللغة والأدب، ودراسات في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلم النفس وعلم المكتبات، وتنوعت لغة المقالات بين العربية والانجليزية والفرنسية.

ولا شك أنّ عدد المقالات الذي نشرناه في هذا العدد كبير جدا، ولكننا اضطررنا لنشره بسبب العدد الكبير من المقالات التي ترد إلى المجلة كلّما فتحنا المجال لاستقبال المقالات الجديدة، وكذا للعدد الكبير من المقالات التي قبلت من قبل المراجعين والتي تجاوز عددها المائة وأربعين مقالا (140).

وقد لاحظنا كثرة المقالات الواردة إلى مجلة المعيار في المجالات الأدبية والتاريخية والتعليمية التربوية، مقارنة بغيرها من المجالات التي ننشر فيها، وهو ما فرض علينا نشر بعضها في هذا العدد وإرجاء عدد آخر منها إلى العدد المقبل إن شاء الله.

ونرجو من أصحاب المقالات التي قبلت للنشر ولم تنشر في هذا العدد أن يصبروا معنا قليلا، ونعدهم أن نبرمجها للنشر في العدد المقبل.

نجدد شكرنا لكلّ من يسهم بمجده في استمرار صدور المعيار، خاصة الأساتذة المراجعين الذين قد نكلّفهم في بعض الأحيان أكثر ممّا يطيقون، لكنهم لا يترددون في تقديم يد المساعدة رغم أنّهم لا يتقاضون أيّ مقابل على ما يبذلونه من جهد، إلاّ متعة القراءة، والطمع بثواب من الله الكريم.

نرجو أن نكون قد وقّقنا في اختيار مقالات هذا العدد، وأن يجد فيها الطلبة والباحثون ما ينفعهم معرفيا ومنهجيا.

رئيس التحرير

## فهرس المقالات

الرقم	عنوان المقال	المؤلف	الصفحات
01	التواتر في القراءة القرآنية ومذاهب العلماء فيه: دراسة تحليلية	رباحي صديق مقدم محمد	14-1
02	القراءات والتنوع الدلالي للحرف في القرآن الكريم	جيلالي جلول	27-15
03	نَسْخُ المصاحف بمنطقة الجلفة خلال القرن التاسع عشر: قراءة في رسالة مخطوطة متبادلة بين مدرسي القرآن بزوايا الجلفة	زيان إسماعيل	41-28
04	دراسة تحليلية لمصطلحات النقد عند ابن عطية من خلال تفسيره لسورة البقرة	محمد الوالي معطي مولانا مقراني عادل	73-42
05	أثر السياق في الدلالات الزمنية لصيغ اسم الفاعل في سورة الأنعام	نادية توهامي	89-74
06	أفعال الكلام غير المباشرة مقارنة تداولية في سورة الإنسان	يومعي جميلة مدقن هاجر	100-90
07	منهج شوقي أبو خليل في الدفاع عن القرآن الكريم من خلال كتابه: "الإسلام في قفص الإتهام."	بلغروم نعيمة سابق حدة	117-101
08	النظام العرفاني بين الفكر الصوفي والفكر اللساني . مقارنة عرفانية لنصوص قرآنية .	بارش خليصة بلغابة أحمد	131-118
09	كُتُبُ "أحاديث الأحكام" وطُرُق الاستفادة منها.	بن عمراري الياسين	148-132
10	المفاهيم الروحية والتربوية والدعوية في الأدعية النبوية -دراسة وصفية-	مزرق حسانة مادن سهام	160-149
11	أبو العباس النبائي . محدثاً وناقداً	الدوسري سعد فجحان	190-161
12	السيرة النبوية من منظور الاستشراق الفرنسي	سلمي عائشة شنتوح ليلى	208-191
13	الخطاب الإسلامي الدعوي و الدراسات الاستشراقية "حتمية التجاوب والتجاوز"	علي بوعزدي	222-209
14	أسباب النزول ودعوى تاريخية القرآن في فكر محمد أركون	قربوع قدس بن عباس عبد المالك	241-223
15	المرأة في عصر الحداثة المفرطة : من البعد الجمالي إلى البعد التجاري -جيل لييوفيتسكي أمودجا-	زواغي عزيزة	255-242
16	الوجه الآخر للدراسات الاستشراقية للإسلام -لويس ماسينيون أمودجا	درار نسمة رجاتي نورة	275-256
17	الاستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في المنهج الفيولوجي	صابري عماد شكار ميلود	288-276
18	الفلاسفة والقانون الطبيعي: عرض تاريخي	فولان أحمد	308-289
19	حضور الفلسفة الحيوية البرغسونية في العلم المعاصر - الميتافيزيقا التحريبية	أودينة خالد	322-309
20	فلسفة اللغة عند جون روجرز سيرل	حمدي شهرزاد شوش محمود	334-323
21	الأسس المعرفية للإستطبيقا عند بومغارتن	مينار محمد	342-335
22	البعد الدعوي والإصلاحي في فتاوى الشيخ عبد اللطيف سلطاني	زقاق نسيمة برامة أحسن	355-343
23	بواكير السماع في التصوف الإسلامي -دراسة تحليلية	لطرش سمية	370-356
24	موقف مفكري عصر التنوير من الدين الإسلامي	حداد نور الإيمان كردوسي عز الدين بشير	383-371
25	مسألة الدين والدولة في الفكر اليهودي الحريدي والصهيوني المعاصر-الائتلافات السياسية للحركات الدينية المعاصرة-	قتال إيهاب زين الدين	397-384

	العايب يوسف	الاتلافات السياسية للحركات الدينية	
418-398	فوغالية فريد	صورة العرب والاسلام في المصادر المسيحية	26
435-419	صغور يوسف علي مهني فارس	أحكام المعاملات المالية في ظل الجوائح والظروف الطارئة. كورونا نموذجاً	27
462-436	فريجات علي سعيد يحيى	التسهيلات الفقهية في أحكام مقاصة الديون المتعثرة لدى المصارف الإسلامية	28
497-463	عبد القادر حدي	الأحكام الشرعية للمعاملات المالية في تكنولوجيا الميتافيرس	29
512-498	عابد نجيبة	إعمال الفطرة في النظر المقاصدي - الموازنة بين المصالح والمفاسد انموذجاً	30
538-513	درويش عبد الودود بلحاجي عبد الصمد	مُحَقِّقُ المناطِ في المعاملات المالية المعاصرة	31
558-539	زناتي دحمان قبلي بن هني	مسالك تعليل الأحكام وأثرها في الاجتهادات المعاصرة	32
569-559	ريغي ابراهيم	قاعدة تفاوت الثواب والعقاب بتفاوت المصالح والمفاسد - دراسة مقاصدية	33
591-570	سهيلي محمد أمين	قضية: تأخير البيان وتحولاتها عبر الأزمان	34
610-592	القايدي محمد	الزكاة في الدولة الوطنية الحديثة بين التقنين والمأسسة	35
628-611	بولحية عبد الحميد	مبدأ حماية الحرية الشخصية للمتهم في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري والاستثناءات الواردة عليه	36
636-628	مناصرية زهرة موساوي أمال	استعمال القوة وفق ميثاق الأمم المتحدة	37
651-637	سعيداني عبد النور بومخرات ليندة	الحماية القانونية للمواقع الإلكترونية	38
664-652	قصعة سعاد	فعالية الإجراءات الوقائية في حماية الحق في حرمة الحياة الخاصة في التشريع الجزائري	39
681-665	كافي محمد	فض النزاعات الدولية في المجال البحري عن طريق التحكيم وفق اتفاقية قانون البحار لسنة 1982	40
699-682	عنتر عنتر جوهري	الفجوة الرقمية في الوطن العربي : دراسة في الاسباب و سبل المواجهة	41
726-700	إيمان حسناوي	دور برامج قناة القرآن الكريم الجزائرية في التوعية الدينية للمرأة الجزائرية - دراسة ميدانية-	42
744-727	فرقوري إيمان	"مجتمع الميم من خلال المسلسل الكرتوني "عالم غامبل المدهش" الموجه للطفل العربي " - دراسة تحليلية-	43
757-745	بوعروج محمد نجيب	تطور شبكة الهاتف النقال وتأثيراته على الأفراد	44
775-758	لطرش فيروز نحال سناء	دور الاعلام التنموي في تحقيق التنمية بالمجتمعات المحلية	45
792-776	عبادنة محمد أمين	العلاقات العامة 2.0 في زمن البيانات الضخمة: نحو اتصال استراتيجي للعلامة التجارية تحكمه الخوارزميات	46
812-793	غرزولي أمال حمراني آمنة	تمظهرات المقاومة الفلسطينية عبر موقع الفايسبوك خلال حصار غزة ماي 2021، دراسة تحليلية لعينة من منشورات صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية	47
833-813	سليمان صليحة	التقارير الإخبارية لقناة فرونس 24 عن الجزائر بين المهنية والتحيز الاعلامي	48
846-834	هواين لمياء علوي نسيمة	جماليات البنية المكانية في رواية "حائط المبكى" لعز الدين جلاوي	49
860-847	بن منصور نعيمة بلهوارى محمد	الانزياح السدرامي في قصيدة شتاء ريتا الطويل لمحمود درويش	50
873-861	عبابو مليكة	مصطلح العجائبي بين التعدد والتباس المفهوم	51
887-874	فتح الله نورالدين	إسهام الوسائط الرقمية في إثراء النص الأدبي المغربي ومقروئته	52
901-888	بلخوص عبد المجيد	المرجعيات الثقافية لتعدد الأصوات في الرواية العربية"رواية اليهودي الحالي لعلي المقرئ أنموذجاً"	53
911-902	طرش علي	الأنا والآخر في شعر نزار قباني	54

920-912	حميودة عبود	التنافس بين الدرس التراثي العربي والدرس الغربي المعاصر	55
933-921	هاشمي غزلان	نحو تاريخ هامشي . رواية حطب سرايفو أتمودجا	56
950-934	أوصيف سهام	هندسة النسق الكولونيالي وتمثلات الهوية في رواية دمية النار لبشير مفتي	57
961-951	العتلي سامي	التكرار في شعر الصعاليك	58
978-962	بولحجار علي أحمد كامش	التجديد البلاغي في كتاب " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" للرازي(ت606هـ)	59
992-979	جريدي سمير	بمات نُقد أحمد دوغان مجلة "آمال" الجزائرية في عددها الخاص الموسوم بـ"الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر"	60
1011-993	مرابط عياش منصور خلفة عبد الرحمن	مظاهر المواطنة في دولة الأمير عبد القادر	61
1027-1012	شلي ربيعة	الزاوية الزبانية ودورها في منطقة الساورة إلى غاية القرن 19م المعدل	62
1040-1028	شقطي هناء	قراءة في مخطوط "تحفة الوارد في احتصاص الشرف من قبل الوالد لابن قنفذ القسنطيني	63
1057-1041	عبد المالك طاهري	المستكشفون الأوربيون في منطقة توات خلال القرن التاسع عشر (الدوافع والعراقيل)	64
1071-1058	براهيمي أسامة شريف عبد القادر	حواضر إنتاج الورق الإسلامي من خلال كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن علي القلقشندي تـ (821هـ/1418م)	65
1081-1072	عمارة حمزة سرير محمد	صورة الآخر الإفريقي في كتاب (رحلاتي لبلاد السافانا) ل الصديق حاج أحمد	66
1099-1082	بن عامر جمال خوجة علامة سفيان	أهمية التكنولوجيا المالية في تحسين أداء مؤسسات الرّكاة	67
1118-1100	بن حمادة بشرى سطحي جابر	دور القطاع الوقفي في تمويل مؤسسات التعليم العالي - القطاع الخيري في أمريكا نموذجاً-	68
1136-1119	زعت مریم	المؤسسات الناشئة في الجزائر بين إشكالية المفهوم واليات الدعم	69
1154-1137	بلعدي محمد	إشكالية الانتقال نحو استخدام الطاقات المتجددة في الجزائر	70
1173-1155	قاري عبد الرحمان بن الذيب فؤاد	الجذور التأصيلية للتنمية المستدامة	71
1184-1174	دردور فاتح	تمثلات النزاع العائلي بين الأمس و اليوم في الجزائر	72
1208-1185	عشاو محمد تبينات ساعد	إبجاهات الأطباء نحو حق الرعاية الطبية لمريض الإيدز دون تمييز -دراسة ميدانية من وجهة نظر أطباء ولاية باتنة-	73
1218-1209	الأقريد محبوبة	العلاقات العراقية الإيرانية: التحديات والرهانات	74
1236-1219	بوقارة صالح	مسألة التوظيف الخارجي للاقليات في منطقة الشرق الأوسط واثرا على الأمن القومي العراقي	75
1251-1237	فرحيوي مریم	صعوبات تعلم القراءة لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر وسبل علاجها	76
1268-1252	أمعوش سيلية	الرضا عن التوجيه المدرسي وعلاقته بقلق المستقبل لدى تلاميذ السنة الأولى ثانوي دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو	77
1284-1269	عمارة توفيق رحو عمر	تأثير برنامج مقترح باستخدام الألعاب التربوية على تنمية بعض القدرات الحركية لدى أطفال المرحلة الابتدائية (10-11 سنوات)	78
1302-1285	شلواش قمره كرم عيواز محمد الزين	مؤشرات معيار ايزو 11620 ودورها في تفعيل المكتبات المدرسية: قراءة تحليلية لمعيار(2014:11620)	79
1318-1303	فتانتية نجاة شابونية عمر	تقييم الإجراءات الفنية في المكتبات الجامعية وفق المعيار العربي الموحد دراسة ميدانية بمكتبات جامعة 08ماي 1945قلمة	80
1332-1319	تيتيلة سارة	استخدام تقنية CHAT GPT في المكتبات الجامعية: بين الأهمية والإرباك	81
1345-1333	لطرش سارة كتاف الرزقي	البيئة العمرانية لمدينة سطيف دراسة للمورفولوجيا الاجتماعية والحضرية بالتجمعات السكنية الجديدة	82
1357-1346	Riad amiraoui	The splendor of moral and formal proportionality in the Holy Quran	83

1370-1358	Noureddine AZOUZ	Do we need to gossip? A structural analysis of gossip and its functional manifestations in society	84
1377-1371	SAMAI Dounia	De l'extimité et de l'exposition de soi sur les réseaux sociaux numériques Extimacy and self-exposure on digital social networks	85
1391-1378	Zoubir CHABBIA	L'effet de l'utilisation des stratégies de compréhension de l'écrit sur la motivation des élèves de deuxième année moyenne	86
1399-1392	Boucheriba nadjjet	Les interactions en classe de FLE au primaire : Une collaboration Enseignant/Apprenant	87

## هندسة النسق الكولونيالي وتمثلات الهوية في رواية دمية النار لبشير مفتي

*The Colonial Theme and Identity Representation in Bashir Mufti's Novel the Fire Doll*د. سهام أوصيف<sup>1</sup>

جامعة عباس لغرور خنشلة-الجزائر

مخبر: المتخيل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والأدب

oucif.siham@univ-khenchela.dz

تاريخ الوصول 2022/12/23 القبول 2023/07/28 النشر على الخط 2023/09/15

Received 23/12/2022 Accepted 28/07/2023 Published online 15/09/2023

## ملخص:

تمثل رواية دمية النار لبشير مفتي خطابا من الخطابات التي لم تتخلص من أسر الايدولوجيا على غرار الروايات الجزائرية، وترسم مشهدا بانوراميا لصورة الجزائر بعد الاستقلال وما خلفه الاستعمار الفرنسي من آلام واختلال في موازين القوى...، فهي تقوم على تعددية لغوية وتستثمر المهمش والمغيب ضمن المشهد الأدبي، كالاتكاء على مخزون التراث الشعبي والتاريخ... وتفضي إلى تأثير الروائي بهذه الأوضاع الجسدة في جملة من الأنساق المضمرة توحى إلى توافر نسق مهيمن يتعلق بالنسق الكولونيالي المنتج لضباية وخلخلة الهوية الهجينة؛ لذا حاول البحث الغوص في ثنايا رواية دمية النار كاشفا عن جملة المسكوت عنه اتكاء على إجراءات النقد القائي؛ فيلى أي مدى يمكن تطويع هذه الإجراءات الغربية والمدونة العربية الجزائرية بحمولاتها الثقافية والإيديولوجية؟

**الكلمات المفتاحية:** الرواية الجزائرية دمية النار، النقد الثقافي؛ صراع الهوية؛ النسق الكولونيالي.

**Abstract:**

*Bashir Moufti's novel, "The Doll of Fire," serves as a representative exemplar of discourses that remain ensnared in the clutches of ideology, much akin to other Algerian novels. It vividly depicts a panoramic tableau of post-independence Algeria, replete with the enduring agonies and inequities wrought by French colonization. The novel capitalizes on linguistic multiplicity, harnessing the marginalized and the absent within the literary milieu, deferring to the reservoirs of popular heritage and historical underpinnings. The novelist's oeuvre reflects a palpable imprint of these embodied circumstances, alluding to the presence of a pervasive pattern interlinked with the colonial pattern that engenders the ambiguity and fluid nature of hybrid identity. Consequently, this research embarks on a profound exploration of the depths within the pages of "Doll of Fire," laying bare the silenced aspects through the prism of cultural criticism. To what extent can these Western and Algerian Arab literary methodologies be harmoniously assimilated, each bearing their own cultural and ideological freight?*

**Keywords:** The Algerian novel the Fire Doll; Cultural critique ; Identity Crisis; The Colonial theme.

<sup>1</sup> البريد الإلكتروني: oucif.siham@univ-khenchela.dz

<sup>1</sup> المؤلف المراسل: سهام أوصيف

## 1. مقدمة :

اتّسمت الدراسات النقدية المعاصرة وتوجّهات الفكر النقدي ما بعد الحداثي - في العقود الثلاثة الأخيرة - بميلها نحو تجاوز الجانب الجمالي في النص الأدبي، والنظر إليه في ضوء الثقافة التي أنتجته، ممثلة في منهج النقد الثقافي - أحد المناهج ما بعد حداثية -؛ الذي يدعو إلى ضرورة الاستفادة مما تنتجه العلوم الاجتماعية والإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والسياسية على اعتبار أن النص أو الخطاب الأدبي منتج ثقافي يتم فيه البحث عن الأنساق المضمرة الثاوية داخله؛ ذلك أنه "يتجاوز التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة ثقافية أوسع، له نظامه الإفصاحي الخاص"<sup>1</sup>

## 2. الرواية ومنهج المقاربة:

أنتج المتن السردي الجزائري عدة خطابات يمكن قراءتها في ضوء مناهج نقدية مختلفة، يستطيع النقد الثقافي وإمكانيات الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطاب ويميط اللثام عن كثير من المفارقات الدلالية بين منطوق النص ظاهرا وبين تأويله نسقيا وبين السياق المنتج لهذه الأنساق، ما يحيل إلى نتائج مغايرة للسائد من الأحكام والأفكار الثابتة عن المتن السردي الجزائري.

خاض بشير مفتي مغامرة روائية جديدة، تعبر عن تجربة روائية متميزة تكسر أسر الميثاق السردي السائد وتتجاوز التعميط الأدبي باحثة عن آليات جديدة في الكتابة؛ خاصة وأنها تصور جانبا من حياة الفرد الجزائري الملوّث بشتى طبوع ممارسات الاستعمار الغاشم من طمس للهوية والعادات... وما غرسته من عنف وجهل وأناية وكل أشكال موت الإنسانية...؛ فشخصيات الرواية جبلت في أعماقها على اللا مألوف والمسكوت عنه الذي تعبر عنه جملة الأنساق المضمرة؛ وعليه يستند البحث إلى إجراءات النقد الثقافي لسبر أغوار الرواية والكشف عن الأنساق الفكرية السائدة الثاوية في الجمالي، وإمطة اللثام عمّا وراء الألفاظ، وما يحيط بها بغض النظر عن كون النص متفوّقا بلاغيا أم لا، مع تركيز الاهتمام بالأفكار والمعاني التي يروّج لها. والنظر إليه في ضوء الثقافة التي أنتجته (ثقافة الاستعمار طبعاً).

ويمكن تمثل جملة من الخطوات الإجرائية الممثلة لمنهج النقد الثقافي؛ هي:

"- طرح أسئلة ثقافية جديدة كسؤال النسق بدلا عن سؤال النص.

- سؤال المضمّر بدلا عن سؤال الدال.

- سؤالاً للاستهلاك الجماهيري بديلا عن سؤال النخبة المبدعة.

- سؤال عن حركة التأثير الفعلية وهل هي لنص الجمالي المؤسساتي أم لنصوص أخرى لا تعترف بها المؤسسة بشخصها ونصوصها وبتعبير آخر طرح أسئلة ثقافية مركزة ودقيقة.

- الانطلاق من النص أو الخطاب باعتباره حاملا لعلامات الثقافي التي ينبغي التعامل معها فهما وتأويلا لاستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة.

- الانطلاق من النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية لاستكشاف الأنساق الثقافية.

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي: النقد الثقافي؛ قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 2005، ص229.

-رصد حيل الثقافة التي تمر عبر أنساق النصوص والخطابات الجمالية والفنية والأدبية.<sup>1</sup>

### 3. رواية دمية النار:

#### 1.3. البطاقة الفنية للرواية:

المؤلف: بشير مفتي.

المؤلف: دمية النار.

اللغة: العربية.

الموضوع: نقد سياسي، تاريخ.

الجنس الأدبي: رواية.

دار النشر: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون.

تاريخ الإصدار: 2010.

نوع الطباعة: ورقي غلاف بسيط.

عدد الصفحات: 165 صفحة.

القياس: 21/14.

الجوائز: رُشحت ضمن القائمة الطويلة لجائزة البوكر للرواية العربية عام 2012، ثم ضمن الروايات الست بالقائمة القصيرة.

### 2.3. ملخص الرواية :

تحكي رواية دمية النار لقاء بين الروائي بشير مفتي وبطل الرواية رضا شاوش الشخص الغامض الملامح والتصرفات الذي يسلمه مسوّدّة رواية عبارة عن سيرة ذاتية؛ تسجّل تفاصيل حياة البطل رضا شاوش رجل المخبرات الساعي جاهداً ألا يشبه والده مدير السجن القاسي إبان السبعينيات لينتهي إلى الجنون فالانتحار-أي الأب- نهاية الثمانينيات من القرن العشرين. غير أن مشيئة الأقدار ترسم له ذات المسلك والمسار وينضم إلى جماعة تعيش في الظل ليصبح أحد رجالها الأساسيين بل دمية دراكولا تزرع الرعب والشر في سبيل إرضائهم وتحقيق مصالحه الشخصية.

### 4. الأنساق المضمرة في رواية دمية النار:

#### 1-4 النسق الكولونيالي في الرواية.

تعبر رواية دمية النار عن تجربة روائية متميزة تكسر أسر الميثاق السردي السائد وتتجاوز التنميط الأدبي باحثه عن آليات جديدة في الكتابة؛ فهي تقوم على تعددية لغوية وتستثمر المهمش والمغيب ضمن المشهد الأدبي، كالاتكاء على مخزون التراث الشعبي والتاريخ...، وترسم مشهداً بانورامياً لصورة الجزائر بعد الاستقلال (جزائر البلد الحالم)، وما خلفه الاستعمار الفرنسي من آلام واختلال في موازين القوى...، وتفرضي إلى تأثر الروائي بشير مفتي بهذه الأوضاع المحسدة في جملة من الأنساق المضمرة "...

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، 2004، ص175.

فكل خطاب يخفي داخله القدرة على أن يقول غير ما قاله وأن يغلف أيضا عددا كثيرا من المعاني وهذا ما يسمّى بوفرة المدلول بالنسبة للدال الواحد والوحيد وعليه فإن الخطاب امتلاء وثرء لا حد لهما<sup>1</sup>

كما توحى الرواية إلى توافر نسق مهيمن يتعلق بالنسق الكولونيالي المنتج لضباية وخلخلة الهوية الهجينة ذلك أن الخطاب الكولونيالي على حد تعبير هومي ك. بابا "جهاز يدير معرفة الاختلافات العرقية/الثقافية/التاريخية وإنكارها وتمثل وظيفته الاستراتيجية المسيطرة في خلق فضاء لـ "شعوب خاضعة" عبر إنتاج معارف تُمارَس من خلالها المراقبة ويثار شكل معقد من اللذة... أما غاية الخطاب الكولونيالي فهي أن يؤول المستعمرين بوصفهم شعوبا من أنماط منحطة بسبب من أصلهم العرقي وذلك لكي يبرر فتح هذه الشعوب ولكي يقيم بين ظهرانيها أنظمة الإدارة والتوجيه"<sup>2</sup>

لا يمكن عزل قراءة الخطاب الكولونيالي عن قراءة الأنساق الثقافية المضمرّة التي مارست هيمنتها على النص باعتباره بنية لسانية جمالية، ومن ثمة فإنه يمكن تصنيفها إلى أنساق سياسية، اجتماعية، دينية، وفلسفية... وهو ما يحتاج إلى قراءة ثقافية لمختلف هذه الأنساق المبنية على ثنائيات ضدية.

يقصد بالنسق الكولونيالي في الرواية ليس فقط أثر الاستعمار الفرنسي وهيمنته على الشعب الجزائري فترة الاحتلال وإنما هيمنة السلطة الحاكمة على الشعب الجزائري بعد الاستقلال وكأنا الوريث الشرعي للاستعمار في همجيته واستبداده وقمعه... على حدّ تعبير الراوي: "نظام محكم الإغلاق مفتوح على شرفة للحلم وشرفة للهاوية"<sup>3</sup>

#### 4-2 النسق السياسي والاجتماعي

##### - نسق العنوان "دمية النار": الحلم المخضّب:

وسم بشير مفتي روايته ب: دمية النار ليوجّه القارئ إلى النص مانحا إيّاه سمات ترميزية إيحائية لربطه بما يلاقيه القارئ في نص الرواية أثناء القراءة؛ فهو يمثل "العمل كليا ويكون بمثابة الحاضن المركزي لمتن برمته"<sup>4</sup>.

يلاحظ أن العنوان مركب اسمي من كلمتين دمية والنار؛ وهو جملة اسمية بسيطة تتكون بحضور المسند الخبري دمية النار (خبر ومضاف إليه مجرور) وتقدير المسند إليه بضمير غائب محذوف "هو" عائد على البطل رضا شاوش، وقد تشكّل وفق اقتصاد معجمي "فكلما تقلص المستوى المعجمي للعنونة أضحى دال العنونة حرّا في الانزلاق، وإنتاج دلالات، فيبدو العنوان محفّزا للقارئ إلى محاولة حسم دلالية عبر قراءة النص والبحث عن الفرائض اللفظية والدلالية للعنونة"<sup>5</sup>

رمى بشير مفتي خيطا من خيوط نسيج رواية دمية النار ليدرك القارئ فيما بعد أنها إشارة إلى صورة رضا شاوش كعلامة ثقافية تحمل نسقا مضمرا يعبر عن ثنائية المركز والهامش في وضع أصبح فيه الفرد الجزائري المثقف مسيرا مجرّدا من ميولاته الحقيقية بل مجبرا

<sup>1</sup> ميشال فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1975، ص110.

<sup>2</sup> هومي.ك.بابا: موقع الثقافة، تر: نادر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص141

<sup>3</sup> بشير مفتي: دمية النار، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص32.

<sup>4</sup> عصام واصل: الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأذن، ط1، 2018، ص40.

<sup>5</sup> سهام لغويل: سيميائية الخطاب المحكي في الرواية الجزائرية المعاصرة-الكتابة النسوية أمودجنا، مذكرة لنيل الماجستير، إشراف: ناصر سنتبول، جامعة وهران، أحمد بن بلة، 2015-2016، ص123.

على تنفيذ الأقوى سلطة؛ فيتحول من مركز طبيعي (رجل) إلى مركز غير طبيعي (رجل مسير لعبة) " وظهر لي رضا شاوش من هذه الفصيلة التي لا ترتبط بصحفي أو كاتب إلا لتستخدمه في لعبتها التي لم أكن متبينا قواعدها، وعندما لا يعرف الإنسان قواعد اللعبة فمن الأفضل أن لا يلعب أي ورقة لأن ثمنها سيكون فادحا للغاية على حياته وأمانته وصدقه"<sup>1</sup> وفي موضع آخر يتأسف على هذه الحالة المزرية مبديا رفضه القاطع لمثل هذه السياسات التي جبلوا وأرغموا عليها على حد تعبير الراوي: " تأسسنا ضد الحكم المفرد لكن بعد وفاة الزعيم شعرت أننا أخطأنا في توجيه السهام، لقد كنت شابا مندفعاً والعيب في القادة، هم كانوا يُجَلِّلون ويُسيِّروننا بالطريقة التي يريدوننا أن نسير بها ... سرنا خلفهم وعندما بدأت الاعتقالات لم يعتقلوهم بل نحن، تصوّر، هم تمكنوا من الفرار والبعض قام بصفقات مشبوهة مع النظام لقد صاروا اليوم من الوجوه البارزة فيه"<sup>2</sup>

تظهر براعة الأديب بشير مفتي في الربط بين الجميل الأدبي والقبيح الثقافي؛ فعنوان الرواية مثيراً مشوقاً يجمع بين الرعب والحلم، الهدوء والصخب، الجمال والقبح، الخير والشر؛ فالدمية تحيل إلى كل شيء جميل يزرع الفرح والسرور وينشر السعادة غير أنها مسيرة لا تمتلك إرادتها في تصريف الأمور والأحوال أما النار فتشير إلى الرعب والخوف وكأن الروائي يرمي إلى تحول الفرد الجزائري في تلك الحقبة إلى شخص مسير دون إرادة يزرع الخوف والرعب رغم ما نسجه من أحلام وديعة غداة الاستقلال أضحت دماراً وخراباً... يستدل على ذلك من الرواية " حسنا سنشرب الويسكي الفرنسي في نخب الدم الجزائري"<sup>3</sup>

#### - نسق المكان:

يشكل المكان بنية من بنيات النص السردي فهو "الحيز الذي تحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه، بحيث أنه مهم في تكون الحياة البشرية باعتبار أنه الجزء الأكثر تثبيتاً لكيان الإنسان وهويته وتحديد تصرفاته كونه الأكثر ارتباطاً بذاتيته"<sup>4</sup> يمكن تمييز نوعين، هما: جغرافي وروائي؛ يمثل الجغرافي " الحيز المكاني والحكي عامة ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي فالروائي مثلاً نظر البعض يقدم لنا حدّاً أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكّل فقط نقطة الانطلاق من أجل تحريك خيال القارئ"<sup>5</sup>، أما الروائي " هو بناء لغوي، يشيّد خيال الروائي والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها"<sup>6</sup>.

ترصد الرواية فضاءات متنوعة مغلقة ومفتوحة أسهمت بشكل ما في تكوين شخصية البطل رضا شاوش؛ وتصنف -في الوقت نفسه- كعلامة ثقافية تعبّر عن نسق معيّن هو الحرمان والاستبداد والظلم تارة والحرية والحب تارة أخرى، ولعلّ أبرزها في الرواية:

<sup>1</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص 18.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 69.

<sup>3</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص 19.

<sup>4</sup> ينظر: غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1984، ص 110.

<sup>5</sup> حميد حميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ط 3، ص 53.

<sup>6</sup> بدر عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في الرواية نجيب محفوظ، دار الحداثة، بيروت، 1986، ط 1، ص 94.

## - الجزائر : الذاكرة المنسية: المسكوت عنه:

تتحدث الرواية عن المرحلة التي تلت الاستقلال في الجزائر وتسلم هواري بومدين السلطة والحرب الأهلية التي حدثت بعد سنوات قليلة من ذلك بين النظام وما عرف باسم الثوريين الجدد بعد فشل المشروع الوطني وتنامي الدكتاتورية - السبعينيات والثمانينيات- " كان أبي يحب خطب الرئيس بومدين(ذلك العسكري الذي أراد تغيير وجه الجزائر وحلم ببلاد أكبر من حجمها الحقيقي)... لقد أممها الزعيم، بطبيعة الحال من أجل اشتراكته الوهمية"<sup>1</sup>، وهي في حقيقة الأمر سياسة موروثية عن المستعمر الغاشم أو نوع من التبعية للغالب لأن السلطة لم تلق مفرا من القمع والاستبداد لإحكام السيطرة والسيادة وفرض الهيمنة... " كانت السبعينيات تعني الكثير من الأشياء الكثير من الأحلام، الكثير من الأوهام، والكثير من المخاوف"<sup>2</sup>

الجزائر في الرواية فضاء جغرافي مفتوح وأيقونة ثقافية تحيل إلى نسق روحي عميق يفصح عن ارتباط البطل رضا شاوش بالجزائر كوطن وهوية وانتماء؛ وهو نسق دال على تبعية إيديولوجية وعمرانية للاستعمار وخير دليل وصف الراوي لأحد مطاعمها قائلا: " كان المطعم كبيرا، وعلى طراز حديث، لكن بلمسة عريقة تنتمي إلى العهد النابليوي أما اسم المطعم فهو باريس الصغيرة كل شيء فيه على الطريقة الفرنسية، والجميع يتكلم الفرنسية..."<sup>3</sup> كما أنها مركز اضطهاد وعنف وخراب... بسبب ممارسات السلطة آنذاك " ... كوايس الحرب والموت، رائحة الذكريات التي تجأ بالصيحات المدعورة للمقتولين، والمعذبين والمهجرين، والمنفيين، ذلك الخراب الذي هو ثمن أي قوة يجب أن تحكم، والثمن يجب أن يدفعه الأقل قوة، والأكثر نبلا... كنت قد فهمت منطقتهم دون شك، منطلق هذا العالم الصغير الذي يحكم من خلف ستار حديدي..."<sup>4</sup>

تمثل هذه الفترة مرحلة معتمدة من تاريخ الجزائر طالما رفض الحديث عنها ويبدو أن الروائي عايش هذه الفترة وغرست تفاصيلها في ذاكرته " أعتزف أن ما حدث في الجزائر خلال العقد الأسود قد أثر في كثيرا وترك بصمته على تجربتي من طرائقي السردية..."<sup>5</sup> خط الروائي هذه الفترة في سيرة البطل رضا شاوش التي تسرد لنا الالتباس الحاصل بعد الثورة والانتقال من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين أو حين يتحول المناضل -رجل المخابرات- إلى جلال وحش يفتك بالجميع حتى المرأة التي أحبها. " لم يدر ببالي أنني كنت أخون كل ما قرأت من كتب، أخون روحي وأنزهاها إلى مستنقع دنس، وأرض تفوح بالكراهية والشر"<sup>6</sup> وجاءت الأحداث على لسانه باعتباره أحد أجهزة السلطة كي لا تقبل أي نوع من الجدل حول صحتها - شهد شاهد من أهلها- يتبدى ذلك في أكثر من موضع في الرواية، ومنها الآتي: "...وبعد التحرر شجعتهم الدولة حتى يزداد عدونا وحتى يزداد بؤسا على بؤس... أيام عصر الاشتراكية من كان يُصدق أننا سنموت بالجوع والعراء والفقر لاحقا..."<sup>7</sup>

<sup>1</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص 31، ص 34.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 99.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 153.

<sup>5</sup> إيهاب ملاح: حوار مع بشير مفتي، جريدة الاتحاد، الموقع الإلكتروني غوغل.

<sup>6</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص 39.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 31.

وفي موضع آخر " تلك الفترة التي كانت حينها واعدة رغم البؤس الاجتماعي المفرط والذي كان يحول أكثر الأحلام شراسة إلى رماذ مريم"<sup>1</sup> لتصبح الحياة جحيما يتلاعب بالفرد الجزائري ويغرق جميع سبل النجاة أمامه" لقد ضاع خط الهداية، وهو بالتأكيد يشعر أن الأشربة تمزقت والسفينة تتمايل راقصة قبل أن تغرق...<sup>2</sup>، وما يؤكد تأزم الأمور حينها واختلال الموازين اعتراف البطل الخاطر حين هم بإقناع ابن غير شرعي للعدول عن التنظيم الارهابي دليل قاطع على فساد السلطة: " لقد حكمناكم خطأ وعارضتمونا خطأ"

### - البيت: الأسرة: التشظي والضياع: البحث عن الوحدة والاستقرار:

يصنف ضمن الأماكن المغلقة بالنسبة للمجتمع، تنوب أسرة رضا شاوش عن تمثيل الوطن؛ تنجح الثورة لكن المجتمع يفشل، أسرته صورة مصغرة للمجتمع تجسد تحوّل عائلة بكامل رحالها إلى جلادين مستبدين طغاة بدءا بالأب إلى الابن الأصغر الذي يتحول إلى دمية تزرع الدمار والخراب... ويتخذ من الأب المسؤول عن الأسرة رمزا للسلطة في الدولة المفككة، وتفكك الأسرة يحيل إلى تفكك الدولة رغم الاستقلال، ويجعله مديرا للسجن الذي يحيل إلى عدم الاستقرار في الدولة وكذا الحرية المقيدة... وخير ما نستدل به من الرواية الآتي: " لا أتذكر طفولتي جيدا، بعض الومضات الخاطفة فقط، بعض اللحظات التي تعود عودة أليمة، بصورة مقطعة، ومكسرة ومشوشة، مثلما رأيت أبي يضرب أمي ضربا عنيفا وهو يصرخ بهذيان..."<sup>3</sup>

يحيل بيت بطل الرواية إلى نسق اقتصادي مزر و نسق اجتماعي متردّ يفتقد روح التكافل الأسري مظاهر الحب والحماية بسبب سياسة الوالد "لقد كان الحب هو هزيمتي المنكرة في هذه الحياة، وللحظة ربطت كل تحولي القدر من إنسان إلى إنسان آخر بهذا الضعف... كم يكون الضعف طريقا لارتكاب أبشع القذارات، وأسوأ الأفعال المنتظرة... انزع من قلب الانسان الحب يقدر على ارتكاب كل شيء"<sup>4</sup> إن الحب يأتي عدة مرات، وقد يصيب، وقد يخطأ ولكن دع الحب دائما نُصب عينيك إنه قوة الانسان الوحيدة"<sup>4</sup> غير أنه رغم ذلك لا تزال بعض اللحظات الخاطفة تطبع في داخل البطل وتزيح عنه آلامها ولنقل تحقق سلاما روحيا "شعرت بعاطفة أبي القوية نحوي، لقد ضمّني على غير عادته بقوة إلى صدره ثم حملني بين ذراعيه، وكانت تلك المرّة الأولى والأخيرة التي فعلها معي..."<sup>5</sup>، وتبقى مشاعر بطل الرواية متضاربة اتجاه والده على حدّ تعبيره " ... كان يكفيني فخرا أنّ لي أبا يهاب منها الجميع، غير أنه كان يخيفني أنا أيضا، ولم أكن أجد لهذا أيّ تفسير، وقد حاولت أن أتفهم سر خوفي منه، وعدم قدرتي حتى على الجلوس إلى جنبه مثلما يفعل الأبناء مع آبائهم، ولكنني لم أستطع فك ذلك اللغز، واكتفيت حينها بحنان أمي الرقيق، وما كانت تفعله لأجل حمايتنا نفسيا من قهر زوجها الغليظ. الخوف من الضرب كان أكبر وساوسي، بعدما رسخت في ذهني صورة ضربه لأمي، ضربه الذي جعلها طريقا الفراش لأسبوع بأكمله"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> بشير مفتي، ص5.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص69.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص25.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص155.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص26.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص27.

ويسترسل باحثا عن إجابة تشفع لأبيه قائلا: "... ذلك الشعور المبهم بأنتي صرت إنسانا آخر، وحيدا، ولا تعينني علاقتي العائلية التي صارت من جهتي شكلية فقط، مجرد ديكور أوثت به من حين لآخر وحدانيتي تلك، لم أعد منهم، لم تعد عائلتي هي عائلتي"<sup>1</sup>

#### - الحي: بلوزداد العريق ذو البصمة الفرنسية بلكور:

يرسم الراوي صورة الحيّ العريق والتغيرات التي طرأت عليه بفعل الاستعمار بدءا بالاسم بلكور؛ ما أهله ليكون مضمار سباق تهاقت كبار رجال السلطة لاكتساب مساحة عمرانية فيه من فيلات وبنائات خاصة الجديدة منها طبعاً؛ ونلمس أثر الاستعمار الغاشم حتى في ملامح الوطن التي لم تتبدل بالرغم من الاستقلال: "... وكان سابقا يسمى بلكور، احتفظ باسمه الاول مثل بقية الأحياء بالعاصمة، أو كأن الاستقلال لم يفعل شيئا في حب الناس بالماضي أو كما أن هذه المدينة بقيت أسيرة النموذج الكولونيالي، هم الذين بنوها، وبعد الاستقلال أصبحت ملكا لنا،... تلك التي بنو عليها كل ذلك العمران الباذخ الجمال، الفاتن للبصر، المريح للعيش، لولا أننا لم نكن نعرف كيف نعيش، أو أنه من طول ما حرمونا من ملذات العيش لم نعرف كيف نخلق فننا الخاص للعيش"<sup>2</sup> هو الاستعمار إذن الهادم للذات، القاتل للإبداع...

كما أنه رمز البساطة والطيبة بأبسط أشكالها ممثلا في الطبقة الشعبية البسيطة التي لا تزال تعمل جاهدة لتحقيق الحرية والتخلص من التبعية ورغم كل ذلك تبقى ملامح القناعة والسرور بادية في وجوههم على حد تعبيره: "... وللناس الذين كان يُخيل إليّ أنهم سعداء بالفطرة،... مزهوون بالمدينة التي تملكوها أخيرا، وأصبحت لهم، هم المنفيون في بلادهم منذ مئات السنين..."<sup>3</sup> ويبقى دائما شعورنا بالانتماء لمكان الذي ننتمي إليه ووطننا، حيّا، وبيتا طفرة جينية تشكل ذواتنا وتزرع الفرح والأمل رغم كل شيء على حدّ تعبير الراوي: " ليس هناك دائما جواب، الانسان يعيش وكفى، وقد يشعر بسعادة قليلة في هذا العيش، وأحيانا تكون حياته مجرد عذاب متكرر، ومستنسخ، ومستمر،..."<sup>4</sup>

#### - المقهى: الصحوة ورعب الحراك:

هو المكان الذي يضم رفاق الحيّ على طاولة الشاي للراحة والترفيه؛ يتبادلون أطراف الحديث في مختلف المجالات؛ ويحيل إلى نسق اجتماعي مهمّش يسعى جاهدا للتعبير عما يجول في خاطره والبحث عن سبل الحرية والتخلص من الظلم والاستبداد لكنه للأسف يطبعه الخوف من السلطة المركز؛ يتجلى ذلك في موقف سكان الحي من والد البطل رضا شاوش الذي لا يتوانى عن إخبار والده بحقيقة الأمر لتتقلب الموازين ويضطر للكذب لحماية لهم من بطشه حين لاحظ خوفهم " مرة سمعتهم في المقهى يتحدثون عنه وأحدهم يقول "إنه يعيش من تعذيب إخوانه (أي والد رضا)". أثارني ذلك، أفزعني أيضا، إنهم يتحدثون عن أبي، تمنيت يومها لو لم يرسلني والدي لشراء الحليب من ذلك المقهى العفن، ومن كان هؤلاء حتى يتكلمون عنه بهذا الشكل الوقح؟

<sup>1</sup> بشير مفتي، ص 142.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 24.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 24.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 152.

وهل كان أبي معذبا حقا لإخوانه؟ أم هي وشايات لا غير، كلام تلوكة اللسان العاجزة عن فعل شيء حقيقي فتهم وترمي بفشلها على جبروت هذا، وقوة ذلك، وعدت منكسر الخاطر، أخبرته بما سمعت فرمقني بنظرة قاتلة، وأمسكني من يدي وأخذني لمقهى بسرعة، وطلب مني أن أرشده عن تحدث عنه بالسوء. لأول مرة تعثر لساني، ورغم رغبتني في أن أشي بالذي تكلم عنه بالسوء إلا أن الوجوه الخائفة بالمقهى جعلتني أصمت، فنالني عقاب شديد القسوة منه"<sup>1</sup>

### - منزل عمو العربي: النسق الديني: وعي مهمش وتماهي الحريات في ظل قيم مرهونة :

يقدم الروائي بشير مفتي في الاحداث شخصية ثانوية هي **عمو العربي** ليشير من خلاله إلى أن مجتمع الرواية عربي الأصل ذو ديانة اسلامية الغائبة تماما فيما سبق تيمنا بعادات الاستعمار، وموجة التدين المتشددة البائدة في الانتشار رويدا رويدا... وكذا الحصار الرهيب وسياسة العزلة الممارسة على الفئة المثقفة؛ فهو لم يتزوج قط وليس له اولاد إشارة إلى عدم الاستقرار في البلاد لأن الزواج عنوان الاستقرار والأمان، وأنه تحول من مهنة الصيدلة إلى اسكافي؟، كما يضيف أن منزل عمو العربي ملجأ للمشاغبين- في السياسة والأدب طبعاً- حيث تمارس جميع طقوس التمرد والانحلال الخلقي، السياسي ... يستدل على ذلك من الرواية بالآتي: " وكان يسهر على راحة كل من يزوره فيهديه كتباً، أو قنينة نبيذ... . وكان رجلاً متقدماً في السن، لم يتزوج، ولم يكن له أي ولد... كل ذلك كلفه غالياً فترك مهنة الصيدلة التي كان يعمل بها إلى تصليح الأحذية"<sup>2</sup> حيث أصبح منزله ملاذ كل الفئات المعارضة للحكم لا لشيء وإنما امتداداً للحركة الثورية أولاً ولأنه معارض من الدرجة الأولى للسلطة الحاكمة "بومدين هو قمة الغرور الذي تصنعه عظمة القوة لتكسر عظمة الشعوب... كان يتحدث بإطناب، مسترسلاً في شرح وجهة نظره التي كان يراها كالحقيقة، لا تحتاج إلى تدليل، يكفي أن الزعيم أدخله السجن، فقط لأنه اعترض عليه، وكانت ثقافته السياسية تسمح له بالحديث من دون توقف، كلام كثير كمن يملك موسوعة في ذهنه، يؤمن بقيمه ومثله العالية رغم الواقع كان يكذبها، وأحياناً يتناقض معها، ويكسر تلك الرؤية تكسيرا موحشاً وقد حولها لأحلام مفتتة عن آخرها... عرّفني على جماعته التي كانت تنشط في الخفاء، وقال إنهم سيساعدونني على الفهم والعمل على تغيير الأوضاع..."<sup>3</sup>، لما لا وبطل الرواية يمثل عينة منهم وقد أقر بأنه بعيد عن الدين تماماً" - لم يكن الدين في فترة شبابي مهماً، بل كنا نعيش فورة اللا دين، لكنني الآن أشعر أنه صار يشغل وجدان الناس."<sup>4</sup>، خاصة أنه يتملص من تعاليمه السمحة" فكرت أن أقترح على رانية الزواج، حتى لو لم أكن مؤمناً بذلك العقد الاجتماعي بأي شكل من الأشكال..."<sup>5</sup>

ما اضطر بعضهم إلى قلب الموازين وتكوين جماعات متشددة تدافع عن الدين بل وتشدّد في أحكامه" ... فلم يشأ أن يزعجني من جديد بالحديث عن موجة التدين التي بدأت تغزو الأحياء الشعبية والإقبال المهول على المساجد والإحساس بأن الخلاص

<sup>1</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص33.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص7.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص38.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص13.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص76.

الحقيقي لن يكون إلا بالدين، وليس بغيره"<sup>1</sup>؛ فهي الثورة، إذن، ضد كل من تسوّل له نفسه التلاعب بالدين رغم توصيات البعض "الثورة ستقوم في هذه البلاد، هم يعرفون ذلك بلا شك، حدّرتهم من التلاعب بالدين، قلت لهم اتركوا هذا الأمر، ولكنهم لم يسمعون..."<sup>2</sup>، إنها حركة فساد تصاحب سابقتهما تمتد أوصلها إلى السلطة لزرع الفوضى والرعب في نفوس الأهالي؛ وهو ما تحدث عنه عمو العربي الذي جبل على رفض الاضطهاد والظلم وكل مظاهر الطغيان "...ومرة تحت تأثير عمي العربي وهو يتكلم عن الفساد المعشعش في قمة الهرم حتى انتابني حمى غريبة، وقلت سأقتلهم جميعا وأنهي مشكلة الفساد تلك، وأجعل عمي العربي يفرح ويهنأ ويعيش ما بقي له من حياة في طمأنينة وسعادة..."<sup>3</sup>

### 5. نسق المرأة: جدلية الغالب والمغلوب/ المركز والهامش:

سعى بشير مفتي إلى تعرية حالة المرأة في المجتمع الجزائري آنذاك وفق ثنائية الأنا والآخر، وتميرها في خطابه السردى من خلال شخصيات نسائية (الأم، معلمة الابتدائي، رانيا)؛ ليناقد طبيعة الأنساق المسيّرة للذهنية الجزائرية والطريقة التي ينظر بها إلى المرأة. تحضر المرأة في الرواية كعلامة ثقافية تحيل إلى وضعية المرأة في المجتمع الجزائري ككيان مهمّش ومعنّف ممثّلا في أم رضا شاوش وآخر متحرر ممثّلا في معلمة الابتدائي لرضا شاوش، وحببته رانيا.

#### 1.5. شخصية معلمة الابتدائي لرضا شاوش:

تصور الرواية معلمة الابتدائي مثقفة متحررة (مهمش غير طبيعي) تحاول جاهدة مقاومة ثقافة الصمت بامتلاكها سلطة الحكمي، وتسعى لهدم سلطة الذكورة التي تقضي بإقصائها الكلّي لترسيخ التبعية للذكر. تظهر معلمة الابتدائي في صورة المرأة الواعية المثقفة المتأثرة بالمرأة الثائرة (أيام الثورة) يصفها الراوي قائلاً: "...كانت تبدو متحررة من الخارج، أنيقة وهادئة الجمال، بارعة في اللباس، ترتدي سروال الجينز وتسرح شعرها للوراء كما الأوروبيات تقريبا... ولكن حذار منها فهي تشبه الأوروبيات وقد تفسد أخلاقك(على لسان والده رضا)"<sup>4</sup>، فهي رغم المسحة الأوروبية إلا أنها لامست قلوب تلاميذها وزرعت فيهم حب الحياة والنضال "لقد كانت معلّمتي... خير من أعاني على خوض تجربتي بشكل آخر مختلف عن الذي كان يدعيني في مجموعة من الحالمين بتغيير واقع دنس، وغير الواقع الذي يمثله أبي، والاحباطات التي كانت تسببها لي مشاعري المتنافرة، والتي لم أستطع لم شتاتها بعد."<sup>5</sup> كما علمتهم فلسفة الحياة وأن سر السعادة في الحياة نفسها؛ ونجحت في رسم الجانب المضيء من الحياة بعيدا عن جميع هواجسها وملابساتها فكانت خير معين على ترقية معرفيا وروحيا: "كنت أتمنى سرا لو كانت معلّمتي هي أمي بالفعل، تحسن الحديث بلغة جميلة تجعلني أومن بأشياء كثيرة، وأقتنع بأن جمال الحياة هو الحياة نفسها... أن تعيشها، وتحبها وتتذوق كل ما فيها من متع وملذات..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص14.

<sup>2</sup> بشير مفتي، ص138.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص160.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص29-30.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص41.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص30.

لقد أتاحت هذه الشخصية لذاتها عالماً مخالفاً للواقع هو عالم الأنثى المتحررة من قانون السلطة الذكورية؛ يتجلى ذلك في مجابها لزميلها الذي ضايقها بالحديث عن لباسها واصفة إياه بالمتخلف والأصولي "تريدون تحرير النساء بسبهن وشمهن يا للعار"<sup>1</sup> غادرت المدرسة بمكيدة من المدير منتشيه صارخة: "لا أستطيع العيش مع هؤلاء الكلاب"<sup>2</sup>، واختارت العمل في أحد المراكز الثقافية فتشرف على مكتبة المتواضعة بحبي **عبان رمضان** وهو المكان الأكثر حرية وراحة وبذلك "استطاعت أن تنقل إلى مسامعنا نبرات البوح الأنثوي ويقاوم ثقافة الوأد وطقوس النحر الثقافي والفكري"<sup>3</sup>.

## 2.5. شخصية أم البطل رضا شاوش:

صورت الرواية الأم مهمشة معنفة؛ تعيش حالة من الدونية تفرض إقصائها وتهميشها (مهمش طبيعي)، لتكون في الرواية علامة محملة بدلالات القهر والحرمان والعنف؛ فهي لا تكاد تذكر واقعا جميلا عن حياتها الزوجية غير أيامها الأولى معه "لا أدري، أعجبي، أوف لا أعلم... لقد كان وسيما نوعا ما، وطيبا، أهداني جلاية وقرطا نحاسيا، وخاتم فضة، وقال لي بأنه سيفعل كل شيء من أجل إسعادي... تحدثت أمني باقتضاب ثم أغمضت عينيها وبكت، شعرت بحرقتها حينها، لا شك أن وعوده ذهبت مع الهواء، وأن كل شيء تغير بعد شهر أو شهرين من زواجهما"<sup>4</sup>

هذه الشخصية على الرغم من هدوئها ورزانتها وصبرها إلا أن دورها مختزلا في دور بيولوجي (تربية الأبناء ومطية لإشباع رغبات زوجها): "لقد رأيته مرة يضربها بنعل حذاءه وهو يصيح بها، لأنها نسيت أن تحضر له كوب ماء" أيتها النعسانة خذي هذه"، يقذفها بالنعل فيصيب وجها أو صدرها أو كتفها ومرة يصيب بطنها فتكاد تسقط لهول تلك القذفة الجبارة لتختفي بسرعة دون أن ترد له الضربة وقد تعمد أحيانا إلى الاضراب عن الكلام ليوم أو يومين ونادرا ما يتجاوز ذلك، وتعود من جديد لعاداتها القديمة فتسمح له بمجامعتها في الفراش..<sup>5</sup>

تحيلنا الرواية إذن، إلى النظرة التبخيسية للأنثى من خلال الأم وللنموذج السلبي الذي تحكمه ثقافة ذكورية سلطوية ممثلة في الزوج (والد رضا شاوش) مدير السجن، وهو تسلط نابع من ثقافة إسكات الصوت النسوي وقمع ذاتها في صورة المرأة التابعة؛ فهي المغلوب الذي ليس له أي سلطة على نفسه وخير دليل على ذلك الزام الأم باصطحاب الذكر في خرجاتها مهما كان عمره "كنت أعتقد أن أمني كانت تصحبي معها، حتى لا أبقى في البيت لوحدي، ولكنها في الواقع كانت تفعل لأن والي طان يشترط عليها أن تأخذ معها ذكرا ما من أبنائها عندما تخرج"<sup>6</sup>

تختار الأم للأسف قرار البقاء مع زوجها في بيتها على الرغم من حالة التشظي، ومشاعر اللامبالاة اتجاه الأب الذي حرّمها بحجتها وروحها المرحة" فالوصل بين المرأة والرجل مجرد قضاء حاجة غريزية يقتل في الإنسان روحه أو حقيقته الإنسانية، لأن الوصل

<sup>1</sup> بشير مفتي، ص30.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص31.

<sup>3</sup> وجدان صائغ: شهر زاد وغواية السرد قراءة في القصة والرواية الأنثوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية لعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ط1، ص139.

<sup>4</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص35.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص28.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص26.

الذي تحركه الحاجة يقف حاجزا أمام معرفة الانسان بذاته وبالأحر"،<sup>1</sup> بل تلزمها طقوس الحياة مسيرته في أيامه الأخيرة وتحمل اختلالاته النفسية رغم تغير طباعه لكن مع كثير من مشاعر الجفاف .. "كنت أحبه، وكفى وكنت أمقته وكفى، كان يخيّل إلي أنه شخص لا يملك قلبا، أو عاطفة، أن مهنته في الزنانة زادت من خشونة روحه وفضاظة قلبه.. أن زمن بومدين أكمل عليه"<sup>2</sup>

## 6.النسق الفلسفي: الجمال يستطيع أن ينقذ العالم:

إن موت الحب الوحيد داخل البطل رضا شاوش وحرمانه من رانيا هو الذي دفعه إلى السير في هذا الطريق الشائك المتشابك المرعب الجالب للدمار وحرمه المقاومة وشرف المحاولة على غرار رانيا وإن ضعفت هي الأخرى وتغير مسار حياتها بفقدان حبه...، أقصد بالمقاومة هنا محاربة شيطانه الداخلي... وكأن بالروائي يصرّح علنا غياب الحب وحس الجمال بين أوساط المجتمع هو سبب الفساد والخراب في البلاد قائلا: " أما الحب فهو قصة أخرى، وهو من أجمل ما عشت بالتأكيد، ولكن عشته بكل ما فيه من جذوة الشوق ، وأنهار الألم...وكانت حياتي في الحب والعواطف مثل سيرة بحار تائه يبحث عن مرفأ يستريح فيه بعد معارك مضنية مع البحر وهمومه...لنقل أنني آمنت بالحب وصدقته ، ولم أعشّه، أو عشته دون أن أتعم به...الحب هو أهم شيء يمكن أن يحدث للإنسان في الحياة، بل سأجزم بالقول إنه من لم يحب ولو مرة واحدة في حياته فليقرأ على روحه السلام، ولا داعي لأن يقول أمامكم إنه عاش عيشة حقيقية..."<sup>3</sup>

لم يجن البطل رضا شاوش رغم حياة الرفاهية سوى التعاسة والألم في حياته؛ دليل ذلك حوار بين عمي العربي وبشير مفتي عن رضا شاوش: " - حياته لم يكن فيها أي مغامرة، ثم هل تريد أن أقول لك شيئا حقيقيا عنه، إنه إنسان تعيس للغاية، وأكثر ما يميز حياة التعساء أنهم لا ينجحون في أي شيء يقومون به. - لكنه يبدو بخير من الناحية المادية. - لم أقصد هذا الجانب بالذات، لقد تحسنت وضعيته منذ فترة لا أدري كيف، أعرف أنه صار يلبس بشكل أنيق ويسكن في بيت بأعالي حيدرة، وله حتى سائق خصوصي ولكن من الداخل هو دائما في حالة ألم..."<sup>4</sup> ، تبعات الطفولة ومكبوتاتها وضياح حبه (رانيا) صنعت من رضا شاوش الرجل المثقف (مركزا غير طبيعي) وجعلته مسيرًا فاقد الروح دمية نار تحرق كل من لامسها رغم رفضه الباطني لهذه التصرفات والمبادئ... هي قصة خيبة، وجرح ووهم، وربما الأسوأ من كل ذلك، هو أنها قصتي أنا بكل حروفها السوداء، وأبجديتها الحارقة. إنها قصتي التي عشتها وتخيّلتها. وإنها ذاكرتي التي صنعتها وصنعتني في نفس الوقت..."<sup>5</sup> خاصة وقد فقد نشوة العيش وحرارة الحياة وحلاوتها بفقدان حبه " ما الغاية من الحياة؟ يكفي أن ينبض القلب بتلك السرعة الخاطفة حتى نقول هذا هو المنتهى / المشتهى..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> نزهة براضة: الأنوثة في فكر ابن عربي، دار الساقى، بيروت، 2008، ط1، ص33.

<sup>2</sup> بشير مفتي: دمية النار، ص36

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص24.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص16.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص20.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 61.

## 7. رضا شاوش وتقويض الذات: الكتابة / سقوط السلطة، صحوه الضمير، المقاومة / الخلاص:

عرف رمضان بسطاويسي الكتابة بأنها: "وعي بالمستقبل بوصفه قضية إنسانية لأن المستقبل هو جزء من كينونة الانسان التي تتحرك دوما بين قطبين الماضي وما به من خيرات توجه الأنا وتشكّل ملامحها الأساسية والمستقبل وهو الأفق الذي توجهه اللحظة الراهنة"<sup>1</sup>

تطلّ الكتابة كعامل مساعد للبطل رضا شاوش الذي اتخذها طريقا لتصوير وفضح الواقع المزري المأساوي أملا في إيجاد الحلول وتحقيق الاستقرار لأنه يدرك تماما أن هذا السواد بإمكانه إحداث تغيير مفيد على حد تعبير شيلر "الشاعر يحمل في داخله شهوة تغيير العالم".

يقدم رضا شاوش على فعل الكتابة لكي يصبح فردا قادرا على تجاوز هزيمته وبالتالي التخلص من تأنيب الضمير، فتشكل الكتابة نوعا من المقاومة - أي سقوط السلطة - على غرار مقاومة رانيا وتحديها لعائلتها في سبيل تحقيق حلمها. "... فبالنسبة إليّ أنا أضعف من القتال حتى الموت من أجل أحلام ربما لن تتحقق (قول رضا) "... إن الفشل الحقيقي هو أن يموت الإنسان دون أن يحاول أن تفشل في تحقيق ما تريد شيء، ولا تعمل من أجل تحقيقه شيء آخر... (قول صديقه عدنان) ... لقد تركت كلماته تلك بداخلي أثرا نافذا للغاية، وحقيقيا بالفعل"<sup>2</sup>

تثير حالة القلق والتضارب التي يعيشها رضا شاوش هالة من التساؤلات تستدعي البحث عن هذا التشظي النفسي فهو بالرغم من معاداته لسلوكيات الوالد أصبح نسخة عنه "لم أكن أعرف ما هي حقيقتي، وكانت أحيانا تتجلى في ذكرياتي القديمة، في تلك الحياة التي قطعت علاقتي بها، أو ظننت أنه يكفي التمادي في قتامة العالم، وسواد الحياة حتى يهجرنا ما كنا نؤمن به، ونعتقده."<sup>3</sup>

اعتبر رضا شاوش الكتابة طريقا للبوخ عن خواطره وللتكفير عن خطاياهم ليحقق بعض السلام الداخلي "إنه نص غريب، لقد حلمت دائما بكتابة رواية، وها أنا أفي بوعدي لنفسي على الأقل، لكن بقيت أمور لم تكتمل بعد، وقد أكملها إن لم أمت، ولكن سأرسل لك المسودة لتطلع عليها"<sup>4</sup> ولا يكتف بالكتابة فقط وإنما يعمل جاهدا على نشر مسوداته عن طريق شخص آخر هو هو بشير مفتي لأنه خير شبيه له على حد تعبير عمي العربي وهو يقدم رضا شاوش لبشير مفتي: "لا أدري لماذا يذكرني بشير.م بك أيام كنت شابا، وتحلم بالكتابة"<sup>5</sup> فالمهم لديه أن تتضح الأمور وينكشف المستور ليعبر عن نسق ثقافي سياسي مشحون بالتبعية للاستعمار والتخلف والرجعية "لا أريد أن أعرف رأيك كل ما أريده هو أن تقرأه، ثم إن أردت أن تنسبه لنفسك فسأكون شاكرا لك هذه الخدمة فأنا لا أستطيع حتى نشره باسم مستعار"<sup>6</sup>، يحدث هذا وكله أمل في التغيير بحدوث طفرة تزيح

<sup>1</sup> بشير بخلف: الكتابة في البوح والامتاع، مجلة ثقافة، ع3، 4 مارس 2004، ص36.

<sup>2</sup> بشي مفتي: دمية النار، ص40.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص154.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص19.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص9.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص19.

عتمة الحاضر وتنسج خيوط مستقبل جديد مفرح لكنه غامض... الأمور لن تستمر بهذا الشكل، ستتغير بالتأكيد، لكن المستقبل بعد الحرب سيكون أكثر غموضاً"<sup>1</sup>

ثانيا: تمثلات الهوية:

تفضح الرواية بشكل لا يقبل الجدل تمزق الهوية والانقسام الحاد الذي حصل في المجتمع الجزائري في تلك الفترة، فالأسئلة الكثيرة التي يطرحها البطل رضا شاوش على نفسه بعد كل جريمة يقترفها دون أجوبة هي في حقيقة الأمر أسئلة شريجة كبيرة من المجتمع الجزائري الذي فقد روحه، وضاعت أحلامه التي خضبَّتها الدماء ومزجتها بقساوة العيش ومرارته "عجيب أمر هذه الحياة.. لقد وصلت للذروة فإذا بما تظهر لي كهواية مفتوحة، سرداب مظلم، قلعة محصنة ولكن فارغة، طريق لا يوجد بعده طريق، كما لو أن الوصول هو النهاية في حد ذاته، والغريب أنني لم أطلب هذه الحياة، أو لم أسع إليها كما لم تكن هذه هي غايتي من وجودي على هذه الأرض، في هذه البلاد، ولكن الحياة شاءت أن أذهب حيث لم أقرر الذهاب..."<sup>2</sup>، وفي موضع آخر "صغيرا شعرت بلغزية أبي فلم أكن أفهم ذلك، وكان يبدو لي رجلا محكما بسر، حتى يخجل إلي أنه رجل يعيش حياتين، سيرتين"<sup>3</sup>

يقر البطل بانفصام شخصيته إلى وجهين أحدهما محب للخير والحرية رافضا لكل مظاهر العنف والاستبداد، والآخر عدائي شرير يزرع الموت في كل مكان؛ وخير دليل هستيريا العتاب التي تسكن روحه بعد كل عملية يقوم بها "ماذا فعل لي ذلك الشخص لأقتله؟ لماذا نفذت تلك العملية؟"<sup>4</sup> وفي موضع آخر "... وتساؤلات بلا حد: هل كنت أفعل ذلك انتقاما، أم خوفا منه؟ وماذا لو عرف؟ هل سيعذبني أنا أيضا من أجل إيمانه الكبير بسياسة بومدين؟ وكنت لا أعرف؟"<sup>5</sup>

كما يتبدى صراع الهوية عند البطل رضا شاوش بدءا باسمه - رضا: الراضي القنوع - وهو الساخط على نفسه وأوضاعه، وأوصافه فهو شخصية غامضة مثيرة للشك والتساؤل، وملامح وجهه غير واضحة "ذا وجه يثير الحيرة والتساؤل"<sup>6</sup>. فالبطل الذي تعاطف مع ضحايا التعذيب في سجون والده معتبرا ذلك خيانة للإنسانية وللحرية الفردية "... رغم اختلافه مع والده في كل شيء"<sup>7</sup> لم يتوان في ممارسة كل قبيح من قتل، اغتصاب، خيانة، وابتزاز - عند أول فرصة سنحت له - "فكنت أفعل ذلك بروح ميتة، وقلب عقيم، وجسد لا يرتجف، وكنت بقدر ما أؤمن في تعذيب الآخرين، أؤمن في تعذيب نفسي، كانت روحي الميتة تنهض من موتها الداخلي وتصرخ..."<sup>8</sup>

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 19.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 153.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 28.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 141.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 41.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 6.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 16.

<sup>8</sup> المصدر نفسه، ص 150.

معلّقاً أفعاله على شجاعة القدر الذي لا يقبل المعارضة" لا أظن، فقط يجب أن تعرف أنه مثلك تمرد في شبابه على والده، وقاوم جبروت سلطة عاتية حينها، وأنا أكبرت فيه تلك الشجاعة كثيرا فلم يكن من السهل في ظل سلطة بومدين أن تقف ضد الحكم وتناصبه العداة.<sup>1</sup> " ويسرح بخياله إلى ذكريات الطفولة معللا هذه الطفرة " ...أحاول أن أعرف لماذا هو مختلف هكذا عن آباء زملائي في المدرسة، ولماذا مشاعري متناقضة نحوه أحبه وأكرهه، أخافه وأحترمه، أرغب في الانتساب إليه، وأمقت ذلك الانتساب...<sup>2</sup>

انتقل **رضا شاوش** من طور الشخصية المسالمة البريئة (مركز طبيعي رجل) إلى طور الشخصية المخيفة المرعبة (دراكولا) مركز غير طبيعي رجل مسير" دخلت من يومها في ذلك المستنقع الكبير.. يجب أن أعترف بأن حياتي تغيّرت جذريًا بعدها، صار هناك شخص آخر يتكلم بدلا عني، ينهض صباحا ويقوم بمهامه التي يستوجبها مقامه الجديد ثم يعود للبيت، طلّقت حياتي السابقة تطليقا نهائيا، أو ظننت ذلك، أخذت الأشياء تقترب من عالم الصمت والعزلة، شكل من وضع قدميه في النار محترقا بها، وصار هو النار بعينها، النار التي يقتات بها، وتقتات منه...<sup>3</sup>، وقد خلعت ملامحه روح الإنسانية، فغرقت روحه المذبذبة تحت أنقاض إرادته التي أسدلت ستارها على نبل أخلاقه وسلبت ذاكرته البريئة وخير مثال من الرواية " مع أنني، من خلال ما عشت، لم أعد قادرا على التفريق بين ما هو خيال وحقيقة، واقع وحلم."<sup>4</sup> تشابك الأمور في مخيلة رضا شاوش دليل على تذبذبه وتضارب أفكاره مؤشرات الهوية الهجينة خاصة عند زيارته لبشير مفتي: " لقد فرحت رغم ذلك برويتك، وقلت ها هو أخيرا شخص مستقيم في عالم مليء ب...<sup>5</sup> فكيف له أن يصاحب أشخاصا يمقت أفعالهم إن لم يكن هجين الهوية... "

يظهر الروائي تأزم حالة البطل النفسية شيئا فشيئا الذي أصبح همه البحث عن مفتاح الحياة وسر الوجود ليصبح عرافا للخطايا قائلا: " أستعيد كل تلك الأشياء الآن، وأنا أبتسم، حياتي تبدو لي وكأنها مرت كالسراب، أو كاللعنة. يجب أن أعترف بأنني اعتبرت نفسي دائما شخصا غامضا ومجهولا (ليس تماما، ليس بهذا الشكل. أقصد الحقيقة لا أعرف ماذا أقصد) وكنت أعطي الانطباع لمن حولي بأنني كنز أسرار لا ينضب، أنه من الصعب عليهم فهمي، (حتى هذا ليس بالحقيقة الكاملة، كما لو أنني في هذه اللحظة لا أعرف ماذا أقول)<sup>6</sup> ليحلق في رحاب فلسفة الحياة وسر الوجود معانقا تصريحات صديقه عدنان " لقد كان عدنان هو الوحيد الذي الذي يقول: ليس ثمة حقيقة في هذا الوجود، وعلى الانسان أن يؤمن بأن وجوده هو الحقيقة الوحيدة. أنا أرد: بأي معنى؟ إن غياب المعنى عن أي فعل نقوم به يعني غياب القيمة، لماذا لسنا حيوانات إذن؟ فيرد عدنان بنفس الجديّة التي يتكلم بها دائما: ومن قال لك أننا لسنا مجرد حيوانات، العقل لا يفعل شيئا مهما بحياتنا انظر لنا نحن نعيش ونموت، نولد لنرحل ذات يوم، هذا كل ما في

<sup>1</sup> بشير مفتي، ص15.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص28.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص145.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص20.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص18.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص23.

الأمر..<sup>1</sup> وينتهي به المطاف من دمية دراكولا إلى دمية مسالمة فعلا لا تستطيع الحراك لمجرد رفضه للواقع واسدال الستار عن روحه المرحة وطروحاته المتحررة "... وبينما كانت فوهة تداعب جبهتي كانت حياتي كلها تمرق كشريط سينمائي قدام عيني، كنت أنظر لنفسي طفلا ثم مراهقا ثم شابا ثم رجلا ثم وحشا أكل الظلام كل ما كان في روحه من بقايا أنوار قديمة .."<sup>2</sup>.

### خاتمة:

تبين مما سبق ذكره، في هذا البحث الذي طوّع النص الروائي وفق غيابات المناهج الغربية الوافدة؛ وسلّط الضوء على الواقع النصي من خلال منهج النقد الثقافي وبيان البؤرة التي ينطلق منها للكشف عن أنساق وجماليات النص في إطار المنظومة الثقافية المنتجة له، وتوصل إلى الآتي:

- المقاربة الثقافية لنص دمية النار كشفت عن بواطن الألفاظ من دلالات وأنساق مضمرة تحيل إلى إيديولوجية وقصدية الأديب بشير مفتي، من خلال العلامة الثقافية؛ إذ تضافرت جملة من الانساق: سياسية، اجتماعية، اقتصادية... في التعبير عن نسق مظلم من حياة البطل رضا شاوش في فترة مابعد الاستقلال تفصح عن تبعية إيديولوجية للاستعمار تأثرت بها أطراف السلطة الحاكمة آنذاك... ما خلّف مآسي وآلام كثيرة...

- المقاربة الثقافية فضاء ممتع لتلاقح جميع المقاربات الأخرى كالسيمائية مثلا حيث مكنت من الكشف عن ارتباط عنوان الرواية دمية النار بمضمون النص الروائي بعلاقات دلالية أتاحت الإشارة إلى خباياه، فالبطل رضا شاوش تحول من مركز طبيعي (رجل) إلى مركز غير طبيعي رجل مسير تقوده أهواء السلطة الحاكمة في سبيل نشر الذعر والخراب بين أفراد المجتمع المعارض.

- ترسبات الواقع المعيش أنتجت شخصيات هجينة الهوية ترفض الواقع بإيديولوجياته وطروحاته في باطنها ولا تتوانى عن مسيرتها وتطبيقها ظاهريا.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 152.

<sup>2</sup> بشير مفتي، ص 165.

## قائمة المصادر والمراجع:

## المصادر:

بشير مفتي: دمية النار، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

## المراجع المترجمة:

غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

ميشال فوكو : حفریات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1987.

هومي.ك.بابا: موقع الثقافة، تر: نائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006

## المراجع العربية:

بدر عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في الرواية نجيب محفوظ، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1986 .

حميد حميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000.

عبد الله الغدامي: النقد الثقافي؛ قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 2005.

عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، 2004.

عصام واصل: الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018.

نزهة براضة: الأنوثة في فكر ابن عربي، دار الساقى، بيروت، ط1، 2008.

وجدان صائغ: شهر زاد وغواية السرد قراءة في القصة والرواية الأنثوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون،

بيروت، ط1، 2008.

## المقالات:

بشير يخلف: الكتابة في البوح والامتاع، مجلة ثقافة، ع3، 4 مارس 2004.

## المذكرات:

سهام لغويل: سيميائية الخطاب المحكي في الرواية الجزائرية المعاصرة-الكتابة النسوية أمودجا، مذكرة لنيل الماجستير، إشراف: ناصر

ستنبول، جامعة وهران، أحمد بن بلة، 2015-2016

مواقع الانترنت: إيهاب ملاح: حوار مع بشير مفتي، جريدة الاتحاد، الموقع الإلكتروني غوغل، أكتوبر 2022، الساعة 18.00،

الجزائر.